رائحة نزار الشعرية.. عطر دائم فى أقلام المبدعين والنقاد

آمال موسى

كاتبة وشاعرة تونسية

نفس عروبى صاخب

لا شك فى أن الشاعر الكبير نزار قباني، يمثل علامة مضيئة فى الشعر العربى الحديث. فهو ليس مجرد شاعر كتب قصائد متفرقة لاقت نجاحا فقط، بل هو صاحب مشروع شعرى متكامل الشروط والعناصر. ولعل أهم ما فى تجربة نزار قبانى نجاحه فى نحت صوت شعرى خاص جدا، يميزه عن غيره من القامات الشعريّة الكبيرة، وهو ما يُعبر عنه بالفرادة فى الإبداع ووحدّها النبرة الشعريّة، التى تُمكن صاحبها من تحقيق الإضافة، التى تضمن بدورها للشاعر البقاء وهزم الموت.

نزار قبانى أثرى الشعر العربى بقصائد ذات نفس عروبى صاخب، وأيضا كان من الجرأة بمكان بحيث لم يتوان عن توظيف قصيدته للنقد السياسى اللاذع. وهى قصائد فى النقد السياسى للنظام العربي، لم تلق ما تستحقه من الاهتمام كما هو شان قصائده التى تغنى فيها بالحب والمرأة.

يُوصف الشاعر نزار قبانى بكونه شاعر الحب وشاعر المرأة . وهو صحيح إلى حدّ كبير فقد تناول الحب فى حالاته وقصصه المتعدّدة، وكانت قصائده فى حبيبته بلقيس عالية الجمال والجمالية.

وبالنسبة إلى المرأة بشكل عام، فيُحسب له تخصيص نصيب الأسد من مشروعه لها حتى لكأن المرأة عند نزار الأرض والحرية والوطن والعروبة والقدس وفلسطين والحياة والأنوثة.

كتب قبانى المرأة بحب ونجح فى تجاوز المسكوت عنه من خلال استحضارها حسيًا. ولكن ربما ما يمكن أن نعيبه على نزار قبانى — وهو من هو — أنه لم يشتغل على الارتقاء بالمرأة ثقافيا، فأعاد فى أشعاره إنتاج التمثلات العربيّة حول المرأة. لذلك هناك من ذهب إلى القول إن نزار قبانى كرس الصورة التقليدية للمرأة ولم يقم بتحريرها كما يقول ظاهر القصيدة.

طبعا مثل هذه الانتقادات لا تخلو من موضوعية المقاربة، لكنّها فى الوقت نفسه لا تستنقص من قيمة نزار قبانى الشعرية، فهو صاحب لغة شعريّة خاصة جدا وله من الفتوحات الجمالية الفنية ما يشفع له هذا الانحراف فى كيفية تصور المرأة.

يكفى نزار قبانى أنه من القلائل الذين صالحوا بين الإنسان العربى المعاصر والشعر، ويكفيه أيضا ما أغنى به الموسيقى والغناء العربيين.

ربيعة جلطي

شاعرة ورواية جزائرية

نزلَ الشاعر من نجمةٍ إلى الشارع!

أفاق عشاق الشعر على صوت متفرد جديد. قدم من حيث لا يدرون، كى يصالحهم مع الشعر قراءة وسماعا وغناء، بعد أن قالوا: راح الشعر العربى مع أحمد شوقي. وقبله قالوا: ذهب الشعرُ مع الريح التى كأنها كانت تحت المتنبى القلِق. وقبله بكوْهُ بمرارة رفقة امرئ القيس على أطلاله!

نزل نزار من علياء نجمة ما، لا يشبه أحدا ممن سبقوه، فشوهد يلتقط الكلمات البسيطة مثل مجنون يلتقط أشياء من الأزقة الرطبة، وضجيج الشوارع، لا معنى لها ولا قيمة، ويكدسها فى جيوبه وبين يديه تحت نظر المشفقين المبسملين المحوقلين. يكتب نزار بلغة الشارع، ببساطة مدهشة، زئبقية، عصية على الأقفاص القاموسية. يقتنص نزار لغة عنفوان الحياة اليومية التى يتنفسها جميع من يشاركونه مفردات عصره، فى العشق، والسياسة، والسخرية، والاقتصاد، والحرب ونكساتها، والدين، والثورة، والمقاومة.

وفى حفرياته اللا متناهية عن سبل مختلفة سالكة نحو أعماق محدثه، انتبه نزار قبانى إلى فن المراسلات الحوار/الأثر، فامتطى سرعة ضوئه عله يحفر بعيدا فى أغوار الآخر بالأدغال العذراء من النفوس، مستعملا الورق وقلم الحبر فى رسائل تبادلها مع كوليت خوري، وهنرى زغيب، وكريم العراقي، وعمارية بلال، وغيرهم.

يبدو لى أن فى وصف نزار قبانى بـ (شاعر المرأة) شيئا من السطحية، حتى وإن كانت جل مفرداته الشعرية منتزعة من أوراق قاموس جسدها المحرم. بل أعتقد جازمة بأن شدة ذكائه، وفهمه للمجتمعات العربية، وقبضه على الهاجس المركزى للإنسان العربي، مكّنه من اكتشاف العصب الأساسي، والأشد حساسية، والناظم لحياة العرب، وحين حركه، انتفضت من جرائه كل الأعصاب الأخرى فى الحب، والجنس، والسياسة، والدين، والتقاليد، والتاريخ. نزار تمكن من اكتشاف الزر السرى فمسّ به جنون الذائقة العربية المستكينة فى جميع البلدان العربية.

أذكر أن الشاعر الكبير نزار قبانى زارنا، وأنا طالبة، فى مدينتى مدينة وهران، وحين دخلتُ وأنا أتعثر فى خجلى إلى قاعة الاستقبال، حيث كان محاطا بالأدباء والأكاديميين والصحفيين، أشار نحوى حين رآنى قادمة وهو يقول لمن حوله بصوته الجهورى الدافئ، ولم يكن قد رآنى من قبل: إنها شاعرة!

تحركتْ مدينةُ وهران ذاك المساء نحو أمسية نزار قباني، ولم يسلم من سحر شعره وإلقائه وحضوره أحد. الصغار والكبار والنساء والرجال. حتى فقهاء الدين احتلوا - من غير حق - الصفّ الأول، لكن شفع لهم أنهم كانوا رائعين وهم يكبّرون ويصفّقون بحرارة لغزله.

دولة عشق نزار

بحقّ ما لدينا..
من ذِكرٍ غالية كانت على كِلَينا..
بحقّ حُبٍّ رائعٍ..
ما زَالَ منقوشًا على فمينا
ما زال محفوراً على يدينا..
بحقِ ما كتبتَهُ.. إليّ من رسائلِ..

إباء إسماعيل

شاعرة سورية مقيمة في أمريكا

قصائدة تنشر كالماء والهواء

فى الوقت الذى كان الشعراء العرب الذين تبنّوا الحداثة الغربية ونَظّروا لها وصبّوا نصوصهم الشعرية فى قوالبها ومعطياتها وقوانينها، كانوا بعيدين كل البُعد عن هموم الشارع والإنسان العربي، كان الشاعر الراحل نزار قبانى يرسم بإرادته أو عفويته وموهبته الفذّة وثقافته، رؤيته للقصيدة العربية الحديثة أو الحداثية أو المعاصرة حسب مايراها هو بأسلوبه و طريقته هو، مما شكّل حالة يمكن أن يُقال عنها إنها المدرسة النزارية فى الشِّعر العربى الحديث. هذه المدرسة التى خالفت شروط و قوانين وتنظيرات الحداثة الغربية التى تُعنى بالالتفات إلى ذات الشاعر دون القارئ أى الشعر المُغرق فى الذاتية، وأيضاً بادّعاء القصيدة الحداثية التى لا تحمل قضايا سوى قضية الشّعر، بيد أنّ نزار الذى لم يكن يرى قصيدته بعيداً عن أعين قرّائه و مستمعيه، وهو الذى حمل هموم وطنه على كتفيه وهو فى الغربة، وهو فى الوطن، وأشعلَ الشارع العربى بقصائده الوطنية والغزلية الملتهبة، قصائده التى وصلت إلى كل بيت ووصلت إلى أطفال فلسطين والعالم العربى وتحوّلت إلى قصائد مغنّاة وحملت طابعها الخاص المؤثّر ليس فى القارئ والمستمع فقط، بل أثّرت فى أجيال من الشعراء. وحتّى وقت قريب، أشرفتُ على العديد من التجارب الشعرية الشابّة ضمن المنتديات الأدبية وأشرفتُ على بعض الدواوين الأولى للشعراء الشباب واكتشفتُ التأثير المباشر لشعر وروح نزار قبّانى على أقلام الشباب العربى وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على ديمومة و قوّة تأثير اللغة النزارية والقصيدة النزارية وروح الشاعر وقوافيه ومضامين شعره على الأجيال جيلاً بعد جيل.

القصيدة النزارية مُتفرّدة وعامّة فى آن.. متفرّدة لأنها حين ظهورها فى عصر نزار وجيل نزار، لم يكن أحد يكتب بهذه الروح وهذه اللغة، وهذا التجديد المختلف. لقد حقق المعادلة الصعبة، حيث انتقل من الشعر الكلاسيكى العمودى إلى قصيدة التفعيلة و قصيدة النثر بأسلوبه الخاص، ولغته الخاصة الجذابة المشحونة المؤثرة، و أدواته الشعرية الخاصة وحقّق نوعاً من الثورة على القديم دون أن يتخلى عن تأثير عمر بن ابى ربيعة والمتنبى وغيرهما من الشعراء الذين أثّروا تجربته الشعرية. وكان فى شعره حلقة وصل بين الشعر القديم والحديث المتجدد. لذلك وجّهت أصابع الاتهام إليه من قبَل الكلاسيكيين والحداثيين على حدٍّ سواء. وكُتبت الكتب و المقالات حول التجربة الشعرية النزارية باتهامها بأنها لم تستوفِ الشروط الحداثية وفقاً لقوالب النظريات النقدية الغربية.

تميّزتْ القصيدة النزارية بالجرأة، جرأة الطرح فى أى موضوع تخوضه، لأنه حَمل شعار الحريّة دون أن يتخلّى عن مسبحة والده وسجادة صلاة أمّه. كان باراً بوالديه، إنْ أردنا اقتفاء المعنى الرمزى الشّعرى للروح النزارية، حافظَ على الأصل، على الجذور، على التراث ولم يتنكّر لهما ولكنه تجاوزهما وجدّد عبرهما.. نعم كانت قصائده متمرّدة ولكنها تتغلغل فى الجَوهَر، جوهر الإنسان والأوطان.

نزار قبانى المحامى الشاعر عرف كيف يدافع عن وطنه، عن قصيدته، عن أنثاه، عن جذوره، وعن أصالة إبداعه.. هذه الأصالة الإبداعية الخارقة القدرة على التوصيل هى التى تركت آثارها على أجيال وأجيال من الشعراء الشباب المعاصرين ومَن أتوا بعده.

إنّ قصائد الحريّة التى كتبها نزار فيما يتعلّق بتحرير المرأة وتلبّسه صوتها فى كثير من قصائده، ألهَمَ الكثير من الشاعرات والكاتبات العربيات أن يخرجن من جلالبيب جدّاتهن ويكتبن بحريّة ولا يعبأن بشروط أو شُرطة أو تابّوهات من أى نوع.. ظهر تأثير القصيدة النزارية بقوّة، على سبيل المثال لا الحصر، فى شعر الدكتورة سعاد الصباح وروايات وقصائد أحلام مستغانمى وغيرهنّ كثيرات على مدى عقود. إنّ الجيل الحالى الذى يعيش فى عصر العولمة، نلاحظ بأنه يبحث عن أقرب وأبسط طريقة لتوصيل قصيدته إلى القارئ و المستمع ووجد فى شعر نزار قبانى النموذج الذى يبحث عنه والمثل الذى يحب أن يقتدى به. بالطبع ليس هو الشاعر الوحيد الذى تميّز بهذا، بل إنّ شاعراً عبقرياً كمحمود درويش هو الآخر تربّع على عرش القصيدة وعرش قلوب قرّاء العربية وغيرهما.

وكما أراد نزار قصيدته أن تنتشر كالهواء والماء، نراها حداثية جداً بمفهوم الشباب فى العالم اليوم الذين يجدون فى قصيدة الراب ذات الإيقاع الموسيقى القوى والمعبرة ببساطة عن القضايا اليومية والمنتشرة عالمياً الآن، والفرق الوحيد أن قصيدة الراب ليست بالضرورة باللغة الفصحى بل قد تكون بالمحكية أيضا، ولغة نزار امتازت بالسهل السهل ونعم .. الممتنع المدهِش والصعب التقليد بالطبع.

لينا غزالة

شاعرة سورية

جرأة غير مسبوقة

أسلوب نزار قبانى السهل الممتنع استطاع أن يدخل الشعر إلى كل شرائح المجتمع، فتذوق شعره المثقفون والعامة، وهذا يعد ثورة شعرية، والسبب عمق الفكرة، التى طرحها، وبساطة الأسلوب، الذى قدمها فيه كتجربة فيروز والرحابنة، حيث استطاع إيصال رأيه السياسى تحديدا، عن طريق إغناء القصيدة بمفردات محكية بالشارع العربى وقتها، وهذا كان اشتغالا على الحس الوطنى العام ومحاكاته، وتأثيره على القصيدة العربية.

استطاعت قصيدة نزار قبانى ردم الفجوة الكبيرة التى كانت موجودة بين طبقة المثقفين والشعب وهذا الأسلوب من الشعر كان منتسبا لشعراء العامية كالأبنودى والفرا وغيرهما، وقد استطاع بجرأة كبيرة طرح القضايا كالغزل والنقد السياسة ومشاكل مجتمع ومحاكاة الواقع بأسلوب جديد بتناغم كبير وجرأة غير مسبوقة.

صونيا عامر

شاعرة لبنانية

زير النساء

من وجهة نظرى المتواضعة أرى بنزار قبانى إنسانا حقيقيا ومميزا بإنسانيته قبل أن يكون شاعرا ومفكرا عربيا سباقا فى مدرسة الحداثة، بداية بالتفكير نهاية بترجمة الفكر لقصائد منعتقة ليس فقط من سجن القوافى إنما من سجن التفكير المحدود السائد آنذاك، سواء على المستوى الاجتماعى أم السياسي.

نـزار قبانى إبـن الحسب والنسب وصاحب المركز الدبلوماسى المرموق اختار الثورة، تناول الخبز رمزا فى قصائده، تحدث عن الجوع والعطش مناصرا الفلاحين والمحرومين والمظلومين والمقموعين فى الأرض.

كذلك عشق نـزار قبانى المـرأة دون تمويه لمشاعره، جـاءت أحاسيسه طبيعية، تماما كما هـي، لم يجمل رغباته ولم يخجل منها.

نزار قبانى زير النساء كما يُتهم بكى بلقيس حبيبته واعتنى بأطفالها ومات ممزقا بين المنفى والحكم والبلد المحايد.

إيمان مصاروة
شاعرة فلسطينية

أنصف القضية الفلسطينية

لن نجادل حول ما إذا كان نزار قبانى عابرا للحدود أو كان شاعرا عالميا، إنما نحن هنا لأجل أن نقول كلمة حق تنصف هذه القامة والحالة الإبداعية التى عبرت حدود الوطن العربى ونجحتْ فى حشد أكبر عدد ممكن من المستمعين والقراء لفترة طويلة من الزمن ولا نكاد ننسى صوته الجهورى الذى سكن عالم المرأة بشتى أشكال وتفاصيل شخصها، أنصف القضية العربية عامة والفلسطينية خاصة فى كتاباته وقصائده وحرفه المقاوم وموقفه العروبي.

وما قدمه قبانى للشعر وللقصيدة العربية كثير، حيث إنه كان أول من اخترق التقليدية وانطلق شكلا وموضوعا فى إبداع مختلف تماما عما سبق، مستفيضا بثقافة عالية، بحيث كان ناثرا وناقدا وسياسيا إضافة لشاعريته الفذة، فهو أفضل من أجاد التفعيلة وإدخال النمط الغنائى فى الوقت الذى غنى فيه كبار المغنين العرب كفريد وعبد الوهاب وأم كلثوم القصائد العمودية من قبل وهو من أدخل كلمات سلسة وغير متداولة فى الشعر من قبل مثل السيارات والأظافر إلى آخر الكلمات التى عُرف عنها أنه لو وقعت قصاصة ورق منها لأدرك من يجدها لمن تكون، وهو من تحدث عن المرأة بملحمية وكتب عنها وضدها وفى غالب قصائده كانت الأنا هى ما يميز كتاباته، كما ظهر فى قصيدة إنى عشقتك وقولى للفجر، كما كتب على لسان المرأة "ومتى تفهم أيا رجلا من الصحراء" وكتب حبا فيها وبلسانها " المرأة تتغزل بالرجل " فى الوقت الذى لم يجلس فيه أحد ليمدحها، فهو من تجاوز الخطوط الحمراء بينما شعرنا العربى مليء بالقصائد النمطية، إضافة إلى أن توظيفه كان فيه نوع من الإثارة وبهذا اختلف عن غيره أيضا.

ولا بد هنا أن نعترف أنه وطنى بالكامل، بحيث قدم الفكر الثورى الجديد والثورية المختلفة فى استعمال الرمزية كما جاء فى قصيدة "من قتل الإمام" حيث ينتقد رجال الدين برمزية عالية مع توظيف السردية، والكثير من قصائد قبانى يتكلم عن نكبة الفلسطينيين، وكانت الهزيمة فى العام 67 هى من أحدثت هذا التحول عند نزار، حيث كتب فى الوطن وتحول شعره إلى شعر المقاومة ونجح فى أن يوصل صوته كما نجح مع قضية المرأة.

ومن أشهر قصائده كانت قصيدة "هوامش على دفتر النكسة" وكانت عبارة عن قصيدة ناقدة للتقصير والتخاذل العربى تجاه القضية الفلسطينية من الاحتلال، حيث منعت قصائده من الغناء فى المحطات العربية على إثر ذلك ولم تكن المحاولة الأولى له، بل كتب عددا من القصائد الوطنية، وقد كانت القضية الفلسطينية والعربية حاضرة بذهن قباني، وأهم ما كتب فى ذلك "جندى السويس" " وقصة راشيل " "وأصبح عندى بندقية" "وجميلة بوحيرد" "وعرس الخيول الفلسطينية".. إلخ، من عشرات القصائد التى أثارت حفيظة العرب قبل الاحتلال وهذا الأمر أثار النقاد للتنبيه على أن شاعرنا هو شاعر عروبى خارج حدود الوطن.

ومن أشهر ما قال فى القدس وفلسطين:

كأنّ حرابَ إسرائيلَ لم تُجهضْ شقيقاتكْ
ولم تهدمْ منازلنا.. ولم تحرقْ مصاحفنا
ولا راياتُها ارتفعت على أشلاءِ راياتكْ
كأنّ جميعَ من صُلبوا..
على الأشجار.. فى يافا.. وفى حيفا..
وبئرَ السبعِ.. ليسوا من سُلالاتكْ
تغوصُ القدَسُ فى دمها..
وأنتَ صريعُ شهواتكْ
تنامُ.. كأنّما المأساةُ ليستْ بعضَ مأساتكْ
متى تفهمْ؟
متى يستيقظُ الإنسانُ فى ذاتكْ

فوزية العكرمى
شاعرة تونسية

ماذا أضاف نزار القبانى للقصيدة العربية؟!

كان نزار قبانى رافدا أساسيا أثرى تجربة العديد من الشعراء المحدثين وما زال، فأنت تجد فى شعرهم صدى لتجاربه ومشاغله وثورته على التابوهات وأثر أيضا فى الغناء العربى (قارئة الفنجان.. رسالة من تحت الماء مثلا) إذ أمده بمعان وصور جديدة ورقّى الذوق الذى بدأ يتبلد بسبب تحوّل الفنّ إلى بضاعة. لقد ملّك القصيدة سمة غنائية جميلة تصل الأسماع وتحرك العقول والقلوب وترقى الذوق وتجنبه الوقوع فى الرداءة بحكم الأغانى الهابطة والسوقية، فشعره بصفة عامة نص غنائى جميل يقاوم فى كل المعاني. فى بعده الجمالى والسياسى والاجتماعي.

يعتبر نزار قبانى من رواد التجربة الشعرية الحديثة مازجاً بين أصوله العربية التقليدية ومقتضيات حركة الشعر الجديدة. فتطرقه إلى موضوع المرأة تجاوز فى أن يكون موصوفا يتغزل به ويشى على جماله ويعبر عن عواطفه إلى أن تتحول المرأة رمزا للقضية معبرة عن هواجسه المختلفة كاشفة عن رؤاه الجمالية ومواقفه الفكرية والسياسية هاهو يقول فى إحدى قصائده

علّمنى حبّك ...أن أحزن
وأنا محتاج منذ عصور
لامرأة تجعلنى أحزن
لامرأة أبكى بين ذراعيها
مثل العصفور
لامرأة.. تجمع أحزانى
كشظايا البلور المكسور

وتصبح الأنثى هى ملهمة الكون الشعرى عنده. لقد انفتح شعره على واقع المأساة العربية مجسدة فى الاحتلال الصهيونى وانتشار الاستبداد السياسى فكانت قصيدته جبهة للنضال لفضح الاستعمار الصهيونى ورفع القضية الفلسطينية إلى اهتمامات الرأى العام العالمي، وكانت مواقفه من الحكام المستبدين صوت الشعوب التواقة إلى الحرية والعدالة . يُشهد له أنّه خرج باللغة الشعرية من حدودها التقليدية.

وأضاف إلى قاموسها المفردات اليومية السيّارة التى حولها إلى تعبيرات شعرية وحاول أن يكون الشعر قريبا من الناس و بمثابة الخبز اليومى لهم

يقول فى قصيدة الحزن
علّمني.. أخرج من بيتي
لأمشط أرصفة الطرقات
وأطارد وجهك
فى الأمطار وفى أضواء السيارات

لم يتخلّ نزار قبانى عن التفعيلة فى الكثير من قصائده، وإنما كسر رتابة الإيقاع وازدواجيته وظل فى أحيان كثيرة وفيا للإيقاع التقليدي.

دولة عشق نزار

أيا امرأة تمسك القلب بين يديها
سألتك باللّه لا تتركيني
فماذا أكون أنا إذا لم تكوني

رولا ماجد

شاعرة لبنانية

ذكاء يصيب الهدف

قبل الدخول فى مناقشة تجربة نزار قبانى الشعرية لابد أولا من الإشارة بإيجاز إلى مرحلتين سبقتا تجربته الأخيرة التى تقمص روحها بعض شعراء الحداثة فى الجيل الجديد ورددوها ببغائية مستنسخة، لن أغوص بتفاصيل التجربتين بل سأشيد بردہ على طبيعة مرحلة فرضت على الوطن العربى واقعا رديئا ببعدين سياسى واجتماعي، ويتفرع من الثانى واقعا أدبيا كان شاحبا أثقل فيه الحرف وتباطأت الكلمة، فى ظل تلك الأجواء الغبارية حلق نزار قبانى وحط قلمه فى حدائق الرومنسية وخنادق النار.. فأبدع فى لغته المتقدمة على غيرها من لغات الصدأ والتكرار وكان فيها طليعيا رائدا، والمرحلة الثانية فكانت سياسية بامتياز برز اسمه كشاعر ناقد للواقع العربى المنتمى لزمن الهزائم.

أما تجربته الأخيرة والتى لازمته حتى رحيله فهى جدلية بالمطلق لها أتباع كما لها خصوم وانقسم فيها الوسط الأدبى بين مؤيد ومعارض، طبعا لا نشك بنجاح تجربته بحسب الدراسات فهى لغة جاذبة وهادفة أضافت إلى الشعر العربى وإلى الحداثة نكهة خاصة وتسللت إلى عمق ثقافتنا وباتت شيئا منها.. صحيح أن نزار قبانى فرض نفسه وفرض لغته ودواوينه تهافت عليها الآلاف من جيل الشباب والمراهقين واحتلت الصدارة، ولكنه أخفق فى ربطها أو صهرها بالسياق الاجتماعى العربى بما تتضمنه من إشكاليات لم تزل قائمة خصوصا تلك التى تتعلق بالمرأة أصر على إقحام الجنس فى بعض نصوصه وصورها مظهرا وغيب الجوهر، تجاوز الإيحاء إلى الحس وكسر الرمز، أنتج صورة شعرية بمشهدية تستنفر الشهوة، قفز فوق هذا السياج بوثبة جريئة أسقط فيها كل المحاذير.. اخترع لغته (كما قال) التى هى مزيج من «الأيروتيكية والبورنوغرافية» لاقت رواجا واسعا عند جيل المراهقين الذين رأوا فيها متنفسا بظل كبت مجتمعى منغلق على نفسه والممنوع فيه مرغوب..

نعم إنه ذكاء نزار قبانى الذى أصاب الهدف باحتراف رام وكسر الطوق وخرق الجدار وأزال الغبار عن عناوين لأزمات أكلها الصدأ وتآكلت. توغل فى فراغات العتم العربى حاملا قلمه ومشعله، فارلشا لغته على مساحات هى برأيه مساحات تخلف وظلام.. وسواء ان إتفقنا أو اختلفنا معه لا بد من الإقرار والاعتراف بأنه ظاهرة، أنتج مادة ثقافية مضافة إلى حداثتنا.. هو حالة شعرية نسميها «نزارية» تنتمى إليه.

هند المطيرى

شاعرة سعودية

أمة من الشعراء

حين يكون الكلام عن نزار قبانى تكون قدرات اللغة التعبيرية فى أدنى نقطة؛ إذ كيف للحرف أن يصور جلال رجل جعل منه ذلولا مسيرا. نزار قبانى أمة من الشعراء، والأمم لا يختزل تاريخها فى مائتى كلمة. لم أقرأ نزارا فى بداية تجربتى الشعرية؛ لأننى بدأت الشعر على طريقة جيل الصحوة، وكان نزار وقتها صنما نتجنب عبادته، ونأثم حين نذكر اسمه. لاحقا حين أخذت نفسى بالأدب وابتعدت عن التيارات وانفتحت على الإنسانية، أعجبنى نزار ووددت لو أصنع له تمثالا من الكلمات. كلما قرأنا نزارا ولدنا كأنا لم نكن. شاعر تغنى للمرأة وتغنى بلسان المرأة، وترك للحب والمحبين ملاحم تروى مع تعاقب الأجيال؛ حتى لم يبق عربى لا يردد بيتا أو أبياتا من شعره فى الحبّ. نتذكره فى أعيادنا ونتغنى معه فى مناسباتنا الجميلة، ونقرأ شعره، لنسلم أخيرا.

وفاء دلا

شاعرة سورية

الشعر العظيم لا يستعصى على الغناء

من أهم العلائق بين الأشياء التى تلفت الانتباه، هى علاقة الشعر بالغناء، فهى علاقة قديمة قدم التاريخ وهى ولادة وجديدة و مستمرة، وأعتقد أنا شخصيا ربما كان الشعر والغناء قد تنزّلا معا، و قد ينتبه الدارسون أحيانا ويقولون إنهما منفصلان، ويأتى آخرون و يقولون العكس إن الشعر والغناء مندمجان، واندماجهما يتجسد أفضل تجسيد فى الغناء العظيم المطرب.

الشعر العظيم يولد الغناء المؤثر والرائع، ولا يخفى عنا أن تاريخنا الأدبى العربي، والشعرى خصوصا، يكرس علاقة قوية بين الشعر والغناء، من عصر الجاهلية حتى يومنا هذا، وقد غنى الشعر الفصيح هؤلاء ذوو الطبقة الغالية من النسيج اللغوى مطربون كثيرون، من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: أم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، وفيروز، وكاظم الساهر، ومارسيل خليفة، وماجدة الرومي.

غنت أم كلثوم لأحمد شوقى أمير الشعراء ولجورج جرداق ولإبراهيم ناجي، وغنى محمد عبد الوهاب لبشارة الخوري، وعبد الحليم حافظ لنزار قباني، وفيروز لسعيد عقل وجبران خليل جبران، وكاظم الساهر لنزار قبانى أيضا، ومارسيل خليفة لمحمود درويش، واختلف فى الشعر المغنى من قبل هؤلاء، وأثير سؤال مهم فحواه: هل كان الشعر العظيم الراقى سببا فى شهرة أصوات هؤلاء؟ أم بالعكس كانت أصواتهم وألحانهم هى السبب فى شهرة كل من الشعراء السابقين خصوصاً الذى هو مثال بحثنا الشاعر العربى السورى نزار قباني؟

والحق يقال إن المقام هنا ليس مقام بسط هذه المشكلة بتفاصيلها، وتكفى الإشارة إلى أن القطبين الشعر و الغناء متكاملان، فغناء الأشعار سبب قوى من أسباب سيرورتها وشهرة قائليها، كما أن عظمة الشعر و بلاغته وصوره ومجازاته، أسباب من أسباب سيرورة الأغنية وشيوعها ونجاحها، وهذا كان واضحاً ومشهوراً عند نزار قبانى أكثر من باقى الشعراء على الأقل فى عصره ولا يزال مستمراً شعره فى التعاطى مع العصر وما بعده، والدليل واضح فى المطرب كاظم الساهر عشرات القصائد له ولا يزال مستمرا فى التحليق.

ولا ننس عبقرية أنغام الملحن تلعب دورا مهما فى شهرة القصائد، ومطرب ذو صوت فريد ساحر، كما هى الحال مع أم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، وفيروز، وكاظم الساهر، ومارسيل خليفة . فالشعر العظيم لا يستعصى على الغناء أبدا، بل يستجيب له تمام الاستجابة إذا ما توفر له ملحن كبير والأمثلة كثيرة فى الفن العربي، كالسنباطي، ومطرب عظيم كأم كلثوم، وشعر محمود درويش الذى غناه مارسيل خليفة، ونزار قبانى الذى كان الأكثر حظاً فى هذا المجال فقد غنت له نجاة الصغيرة، وماجدة الرومي، وفيروز، وكاظم الساهر.